مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، ص1133- ص1155، يونيه 2007
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

مشكلات البحث العلمي في العالم العربي

أ.د. عماد أحمد البرغوثي — قسم الفيزياء ـ كلية العلوم
د. محمود أحمد أبوسمرة — قسم التربية ـ الدراسات العليا
جامعة القدس ـ القدس- فلسطين

تاريخ استلام البحث: 2007/2/7م ، **تاريخ قبول البحث:**2007/5/23م

ملخـص: لايـزال البحث العلمي في العالم العربي دون المستوى الذي تتمناه الشعوب العربية، فلم تتمكن هذه الشعوب، لا بمجموعها ولا بأي جزء من أجزائها، من الانتقال من حال العالم الثالث الى واقع العالم الصناعي بالرغم من الامكانيات الهائلة التي حباها ا بها.

وتأتـي هـذه الدراسة لعرض صورة لحقيقة مشكلات البحث العلمي في العالم العربي، ومقارنـتة بواقـع البحث العلمي في بعض الدول المتقدمة علمياً وتكنولوجياً، من خلال الدراسات السـابقة فـي هـذا المجال، وقام الباحثان بتشخيص هذه المشكلات وفق رؤية إسلامية، وأظهرت الدراسة أن تبني مفهوم "علمانية العلوم" من قبل العلماء والباحثين ساعد على تفاقم مشكلات البحث العلمي في العالم العربي، ثم يرسم الباحثان رؤية مستقبلية للنهوض بمستوى البحث العلمي في العالم العربـي، علهـا تساعد المؤسسات البحثية والباحثين في وضع استراتيجيات سليمة لمستقبل البحث العلمي.

Difficulties of scientific research in the Arab world : An Islamic view

Abstract : We present and discuss the state of scientific research in the Arab world and compare it with the status of the scientific research in the western world. As a result of comparison, we find that the scientific research in the Arab world is not productive, scattered, low profile, and did not provide solutions to the community problems or valuable scientific knowledge. Many studies discussed the difficulties of scientific research in the Arab world and found that either the budgets for scientific research or the administrations are responsible for the current state of scientific research. We revisit and analyze these difficulties and find that the current state of the scientific research in the Arab world is not due to the budget or the administration; but it is, mainly, due to the "secularism of sciences", in which the scientists or scholars separate between science and Islam. In addition, the paper presents a project for developing the scientific research in the Arab world.

مقدمة

يمـثل البحـث العلمي ركناً أساسياً في حياة الأمم والشعوب، وجزءاً رئيساً من وظائف الجامعـة ومهام عضو هيئة التدريس فيها، فهو عماد كل تخطيط وعصب كل تنمية، إذ بواسطته

يـتم وضـع خطط التنمية على أسس سليمة ومتينة، ويتم تفادي الأخطاء وتوفير الأموال، ودفع الخسائر، وتقصير الزمن، وتحسين النوعية(الريس، 1992).

ويقـوم البحـث العلمي على طلب المعرفة وتقصيها والوصول إليها، استنادا إلى مناهج محددة في تقصيه لهذه المعرفة (عناية، 153:1990)، وهو نشاط علمي منظم يسعى إلى الكشف عن الحقائق ومعرفة الارتباط بينها واستخلاص المبادىء العامة والقوانين التفسيرية (عبد الحميد، 8:2000). والبحـث العلمي عند عبيدات وزميليه (1996: 46) ما هو الا محاولة منظمة توجه لحـل المشـكلات الإنسانية في مجالات متعددة. وعرف درة وبعيره(1989) البحث العلمي بأنه محاولة ذهنية لحل مشكلة معينة، ويكون هدفه البحث عن الحقيقة.

ومهمـا اختلفت الصيغ الواردة في تعريف وتحديد مفهوم البحث العلمي، فإنها تجمع على أن البحث العلمي:

- نشاط منظم يقوم على ملاحظة مقصودة.
- يهـدف إلى إيجاد حل لمشكلة من مشكلات العصر القائمة أو المتوقعة، أو التعرف إلى حقيقة علمية (طلب المعرفة).
- يقوم به باحث متخصص في الجانب المعرفي والمنهجي.
- له خصائص ومواصفات محددة.

ويعتـبر البحـث العلمـي عملـية اختراع واكتشاف وتحقق واثبات، من خلال إحداث اضـافات جديدة في ميادين المعرفة المختلفة، أو تعديلات لمعارف قائمة، بالتقصي المنظم القائم على التبحر والغوص في أعماق الحقيقة (عناية، 1990: 154)، و(رشوان، 1985 :37).

وتقـود الجامعات ومؤسسات البحث العلمي هذا الأمر المهم في حياة المجتمعات، بهدف النهوض بها، ودفع مسيرتها إلى الأمام، والبحث العلمي هو الذي يعطي للجامعة معناها الحقيقي، ويمـيزها عن المدرسة، وقد أولت العديد من جامعات العالم الغربي عناية خاصة للبحث العلمي، ورصـدت له الميزانيات، واستقطبت من أجله الكفاءات العلمية، واعتبرته من أهم وظائفها، على اعتـبار أن الأبحـاث العلمية هي التي تقود إلى التكنولوجيا المتطورة، والتي لا يستغنى عنها في حالتي السلم والحرب على السواء، وشملت مجالاتها جميع مناحي الحياة: الصناعية، والزراعية، والإدارية، والتربوية، وغيرها، ولم يخل جانب واحد من جوانب الحياة الإنسانية إلا وشمله البحث العلمي بعناية.

ويعتبر البحث العلمي سبيلاً رئيساً ومهما لرفع مستوى الجامعات، ورفع مستوى أعضاء الهيـئة التدريسـية فيها، فالبحث العلمي يساعد على تنشيط عقل الأستاذ الجامعي ونموه، وعندما

تكـون أبحاثـه في مجال تخصصه الذي يدرسه، فإن هذا البحث يعمق فهمه لموضوعه، ويزوده ببصيرة تجعل استجابته نشطة(ميليت، 1965). كما أنه أحد المعايير الأساسية التي يؤخذ بها عند تعيين أو ترقية الأستاذ الجامعي، وقد حدد الريس(1992) فوائد ثلاث للبحث العلمي لأية جامعة: وفرة اقتصادية، وتطوير نوعي للجامعة، وربط الجامعة بالمجتمع.

ولا يمكن للأستاذ الجامعي معايشة التجديد باقتصاره على المطالعة ومتابعة التطور المعرفي والتقني عن بعد، بل تقع على عاتقه مهمة التمكن من امتلاك مهارات بحثية ليطور نفسه، ويسهم في تطوير مهنته من خلال تعرفه عن كثب إلى المشكلات والعقبات العلمية، واقتراح الحلول والبدائل للتعامل معها، وأن ينصب اهتمام الباحث على إجراء الدراسات والبحوث ذات الصبغة الوظيفية بالدرجة الأولى، كون البحث بحد ذاته وسيلة وليست غاية.

كما لا يجوز أن ينظر إلى البحث العلمي على أنه ترف علمي، أو ذهني، أو بلا هدف مقصود، لأن في ذلك تهميشاً له، وللدور الذي يلعبه في تقدم الأمم والشعوب، ويحافظ على بقائها أمام الأمم الأخرى، ويبرز هذا من خلال أهمية البحث العلمي وأهدافه. فالبحث العلمي لا بد أن يكون مدفوعاً بفكرة تحركه ومن خلال الالتزام بقضية، أما بدون قضية وفكرة محركة فلا يمكن أن ينهض الباحث والبحث العلمي ليستوعب المعارف ويتجاوزها ويتفوق عليها، وكلما كان الدافع كبيراً، كان الإنجاز أكبر، فقد يكون الدافع مالاً أو جاهاً او منصباً، وقد يكون رضا ا سبحانه وتعالى، وهو الدافع الأكبر، والقضية الأهم في حياة المسلم والأمة الإسلامية (الفاروقي، 1984).

وقـد كان للحرب العالمية الأولى أثار كبيرة في الدفع بعجلة البحث العلمي إلى الأمام، حيـث دعت الحاجة الماسة إلى تطوير وابتكار أساليب متقدمة في الحرب والتسليح، فأنشئت في تلـك الفـترة هيئة البحث العلمي والصناعة في بريطانيا عام 1915، كما أنشئ المجلس القومي للـبحوث فـي أمـريكا عـام 1916، وقد أنيطت بهما مهمة تنسيق البحوث العلمية للتوصل إلى مجموعـة مـن المخـترعات الرئيسـية التـي تساعد في مجال الحرب الدائرة آنذاك ومستقبلاً (درة وبعيرة،1989).

ويمكن تصنيف أنواع البحث العلمي إلى:

أ- **البحـث الأساسـي (الأكاديمـي):** ويهـدف إلى الكشف عن أسرار الحياة والطبيعة وتطوير المعـارف النظرية(إنتاج المعرفة)، وغالباً ما تكون البحوث الأكاديمية نظرية، يطلق أثناءها الباحـث لفكـره العنان ليطور نظرية جديدة، أو يقدم تفسيراً لظواهر موجودة، أو يقوم بحل

معـادلات رياضـية معقدة، ويتم هذا عادة بغض النظر عن إمكانية تطبيق النتائج عملياً في المستقبل القريب.

ب- **البحـث التطبيقي:** وهو من الوسائل التي تمكن الجامعة ومؤسسة البحث العلمي من التفاعل مـع المجـتمع. من خلال ما هو جديد، أو تطوير التقنيات القائمة، ومن خلال هذا النوع من الأبحـاث، تسـتطيع الجامعـة أن تعمق ارتباطها بالمجتمع، ويلمس فوائدها وعائدها المادي والمعنوي.

وقد اختلفت نظرة المجتمعات والحكومات، وخبراء التربية أيضاً، ومن ثم الجامعات إلى البحـث العلمـي وأهميته، باختلاف إمكاناتها المادية، ونظريتها السياسية، وظروفها المحلية، كما اختلفت النظرة أيضاً إلى الأهمية النسبية لنوع البحث المرغوب أو المطلوب، فهناك من الجامعات من ترى أن البحث العلمي هدفه البحث عن الحقيقة العلمية، وأخرى ترى بأن البحث العلمي لا بد وأن يكون موظفاً لخدمة المجتمع في المرحلة الآنية وفي المستقبل القريب.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تكمن مشكلة الدراسة في واقع البحث العلمي في العالم العربي، هذا الواقع الذي لا يكاد يخفـى على عاقل، والذي بدوره يدفع الباحثين للتفكير دوماً في أسباب التراجع العربي في مجال البحث العلمي. فهم يدركون أهمية البحث العلمي لأمتهم، ويتمنون أن يروا ذلك اليوم الذي تشرق فـيه شمس الحضارة الإسلامية من جديد، ويعود العلم الإسلامي كما كان، رائداً وقائداً. ويحاول الباحـثون تلمس أسباب هذا التراجع، لعل جهودهم تنجح في رصد هذه الأسباب، ومن ثم يسعى أولي الأمر لإزالتها. ويمكن تحديد سؤالي الدراسة بالآتي:

* ما حقيقة المشكلات التي تواجه البحث العلمي في العالم العربي؟

* ما الحلول المقترحة لمشكلات البحث العلمي في العالم العربي ؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة (هذا البحث) التعرف إلى حقيقة المشكلات التي تواجه البحث العلمي في العالم العربي، من خلال مراجعة الدراسات السابقة ذات العلاقة، ومحاولة تشخيص هذه المشكلات في ضوء إمكانيات العالم العربي المادية والبشرية، كما تهدف الدراسة اقتراح حلولاً لهذه المشكلات وفق رؤية إسلامية.

وقـبل الحديـث عـن هذه المشكلات، والإجابة عن سؤالي الدراسة السابقيين، نعرض لـبعض القضـايا ذات العلاقـة بالبحث العلمي، والتي يمكن أن تساعد على فهم حقيقة مشكلات البحث العلمي في العالم العربي.

مفارنات ومفارقات

أخـذت الـدول الصناعية والمتقدمة تكنولوجياً، زمام المبادرة في مجال البحث العلمي، بنوعـيه، ورصدت له الإمكانيات المادية بلا حدود، لا بل أصبحت قناعات المؤسسات والشركات الخاصـة في هذه الدول بفوائد البحث العلمي وضرورته، أمراً مسلماً به، فأصبحت هي الأخرى جزءاً من دائرة البحث العلمي، تأخذ منه وتعطيه.

وخلال فترة الثمانينيات من القرن العشرين، أنفقت الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من (40) بليون دولار على البحث العلمي، في حين كان الإنفاق العربي (جميع الدول العربية) لنفس الفـترة (200) مليـون دولار فقـط، وأظهرت نتائج الدراسات الإحصائية بأن الإنتاجية العلمية (للوطـن العربـي) في مجال البحث العلمي متدنية جداً، حيث بلغت(10%) من المتوقع، وتقدر إنتاجـية الباحـث الواحـد في حدود (0.2) بحث للباحث سنوياً، وتصل إلى (1.5) بحث للباحث سـنوياً فـي الدول المتقدمة، ويصل معدل الإنفاق على البحث والتطوير في المنطقة العربية إلى حوالـي أربعـة دولارات للفـرد الواحد، بينما يصل في اليابان إلى (195) دولار، وإلى (230) دولار فـي ألمانيا. وتخصص الجامعات العربية (1%) من ميزانيتها للبحث العلمي، بينما تتجاوز هذه الحصة في الولايات المتحدة 40%(غانم، 2000، مرسي، 1984، سلمان، 1993). وقد بلغ حجـم الإنفاق على التعليم من الناتج القومي الإجمالي في الكيان الصهيوني عام 1999 (6.6%)، فـي حيـن بلـغ فـي العام نفسه(5.3%) في الولايات المتحدة الأمريكية، وبلغت نسبة العلماء والتقنييـن فـي الكيان الصهيوني (76) لكل (10) آلاف شخص في العام 2000، فقد أولى هذا الكـيان اهـتماماً خاصاً منذ بداية إنشائه بالعلوم الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والجيولوجية، لوعـيه بـأن الـتقدم في هذه العلوم على مستوى العالم، يتيح له الهيمنة والغلبة، فقد أنشأ معهد الجيولوجيا عام 1949، ومعمل الفيزياء الوطني عام 1950، والجامعة العبرية قبل ذلك ،ومن ثم المعـاهد التكنولوجية المتخصصة في مجال الدفاع والبحوث الاستراتيجية في مجالات تكنولوجيا المعلومـات والالكترونـيات الدقيقة وتكنولوجيا الفضاء وتكنولوجيا الصناعات العسكرية. وبلغت ميزانـية معهـد وايـزمان السـنوية (1.2) مليار دولار، في حين بلغت ميزانيات كل الجامعات والمعاهد الأكاديمية العليا في كل الدول العربية (800) مليون دولار فقط(عبد العال ،2003)، أما

مصـر، أكـبر دولة عربية، فقد بلغ معدل الإنفاق على البحث العلمي عام 1992 (0.37%) من الناتج المحلي الإجمالي، بينما بلغ في عام 1996 (0.36%) (القصبي،2003)، اما في ألمانيا فقد بلـغ مجمـوع العامليـن في مجال البحث العلمي والتطوير، وبعد توحيدها مباشرة (475) ألف شـخص، وبلغت نفقات البحث والتطوير ضمن ميزانية عام 1995 (40) مليار دولار، ما يعادل (2.3%) مـن الناتج المحلي، ومن خلال هذه الأرقام لا نستغرب حصول العلماء الألمان، ومع نهايـة الحـرب العالمـية الثانية، على عشر جوائز نوبل في الفيزياء من مجموع (45) جائزة ، وعلـى (16) جائزة نوبل في الكيمياء من أصل (40) جائزة، في حين حصلت في الفترة ما بين 1988 وحتى 1992م على عشر جوائز نوبل في تخصصات مختلفة(كابلر، 1996: 472).

هـذا ما يحدث في العالم الصناعي الغربي، والعالم العربي في سبات عميق، لا يحرك سـاكناً في مجال البحث العلمي والاختراع والاكتشاف، كأن الأمر لا يعنيه، وهو صاحب الرسالة السـماوية الخـالدة المرتبطة بالعلم ارتباطاً عضوياً، وبداياتها كانت مع " اقرأ "، فتقهقرت الأمة الإسـلامية فـي مجال العلم بعد أن كانت السباقة وفي الطليعة، وأصبحنا نردد أسماء العلماء من الغـرب والشـرق وفـي كل الميادين العلمية: نيوتن، آينشتاين، بويل، بيكون، ولا نسمع لعلماء المسلمين ذكراً، وهذا يدفعنا للحديث عن مشكلات البحث العلمي في عالمنا العربي.

ويرى المهتمون بالتعليم الجامعي، من خلال خبراتهم وملاحظاتهم وواقع البحث العلمي ومنشوراته في الجامعات، أن البحث العلمي في الوطن العربي لا يزال متواضعاً، في المجالين النظري والتطبيقي، ويكون في آخر سلم أولويات هذه الجامعات، فبينما تشكل الأعباء الوظيفية للبحث العلمي في الدول المتقدمة 33% من مجموع أعباء عضو هيئة التدريس، نجد أن نشاطات البحث العلمي التي يقوم بها عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية لا تشكل في أحسن الأحوال أكثر من(5%) من مجموع أعبائه الوظيفية، إضافة إلى أن البحث العلمي في الجامعات العربية موجه، وفي أغلب الأحيان، لأغراض الترقية الأكاديمية والتثبيت، ونادراً ما يوجه إلى معالجة قضايا المجتمع ومشكلاته وهمومه(زيتون، 122:1995): ويتم تعيين عضو هيئة التدريس للتدريس ابتداء لا للبحث العلمي.

يقول التل(53:1997) "إن لانشغال الجامعات في الوطن العربي بصورة رئيسية بتدريس أعداد كبيرة تفوق طاقاتها البشرية والمادية، تأثيراً سلبياً بالغاً على القيام بدورها في تأدية وظائفها الأخرى في مجال البحث والتجديد والإبداع، فعدد البحوث القيمة على المستوى العالمي التي تصدر من جميع الجامعات العربية، هو قليل جداً، كما أنه يكون ضرباً من المستحيل أن نرى أن ثم اختراعاً أو اكتشافاً علمياً كبيراً اخترعه أو اكتشفه أستاذ في جامعة عربية".

مشكلات البحث العلمي في العالم العربي

ومن المقارنات والمفارقات اللافتة للنظر، والتي تستدعي الوقوف عندها، عند محاولة رصد واقع البحث العلمي ومشكلاته في الجامعات العربية عامة (الشامسي،2005، غانم،2000، عبد العال،2003) ما يلي:

* يقدر احتياط البترول العربي بحوالي(80%) من الاحتياطي العالمي.

* ويقدر الإنتاج العربي من البترول بحوالي (35%) من الإنتاج العالمي، ويستهلك العالم العربي(5%) منه.

* يمثل النفط (91%) من التجارة الخارجية للدول العربية.

* يمثل الإنتاج العربي(1.1%) من مجموع الناتج الإجمالي العالمي، ويعادل هذا الرقم الناتج القومي لإيطاليا.

* تقدر الأراضي الصالحة للزراعة في العالم العربي198 مليون هكتار، لا يستغل منها سوى 50 مليون هكتار.

* هناك ما يزيد على 175 جامعة في الوطن العربي، ويزيد عدد الأساتذة في مجالات العلم والتكنولوجيا على 50 ألف عضو هيئة تدريس.

* في السنوات الخمس الماضية تم نشر 305 ملايين ورقة بحث علمية في جميع أنحاء العالم، كان نصيب الولايات المتحدة (34%)، بينما اكتفت جميع الدول العربية بنشر اقل من (1%) من جميع ما نشر.

* لم تصنف أي من الجامعات العربية ضمن أفضل 500 جامعة في العالم، حسب تصنيف اليونسكو.

* لم تحصل أي من المجلات العلمية العربية على تصنيف ما يعرف (Impact Factor)، ولم تصنف عالمياً.

* هـناك اتفاق علمي حول نسبة الإنفاق على البحث العلمي من الناتج القومي(المحلي) وقيمتها (1%)، وما دون ذلك يعتبر إنفاقا غير منتج (دون جدوى).

* الدول العربية: لم تتجاوز أي منها (0.5%)، في حين:

* ألمانيا:3.5%   * الولايات المتحدة الأمريكية:2.9%

* اليابان: 3%   * الكيان الصهيوني: 2.7%

* جمهورية مصر العربية(أكبر دولة عربية)0.37% عام 1992، و 0.36% عام 1996.

* سوريا : 0.1%

* إنتاجية الباحث سنوياً: الدول المتقدمة (1.5) بحثا للباحث، العالم العربي (0.2) بحثا للباحث،
* الإنتاجية العلمية في الوطن العربي (10%) من المتوقع.

- العلماء العرب سجلوا عام 1997 (24) اختراعاً، بمعدل اختراع واحد لكل 10 ملايين نسمة، بالمقابل وفي السنة نفسها سجلت دولة الكيان الصهيوني(577) اختراعاً.
- الدول المتقدمة تسيطر على (99%) من براءات الاختراعات العالمية.
- الدول المتقدمة تسيطر على(95%) من التكنولوجية العالمية.
- مجموع البحوث التي تجريها جامعة هارفارد يساوي مجموع البحوث التي يجريها الباحثون في الدول العربية.
- حوالي (99%) من رسائل الماجستير والدكتوراه في اليابان مبنية على مشكلات حقيقية تعاني منها المؤسسات الصناعية.

إن الحقيقة التي يمكن أن تكشف عنها هذه الأرقام هي إدراك الدول المتقدمة تكنولوجياً لأهمية البحث العلمي وضرورته في حياتها، كما تكشف هذه الأرقام كم هي واسعة تلك الفجوة التي تفصل بين واقع هذه الدول وبين الحالة العلمية التي تعيشها أمتنا العربية. وإلى أي مدى تهتم جامعاتنا العربية بالبحث العلمي، وتوظفه في حياتها.

مشكلات البحث العلمي في العالم العربي كما تراها الدراسات السابقة

حاول المختصون، ومنذ عشرات السنين، استقصاء وتصنيف معوقات البحث العلمي ومشكلاته في الوطن العربي، والعالم الإسلامي، وترددت العديد من هذه المشكلات في الأبحاث التربوية، والمؤتمرات العلمية، والندوات والمحاضرات المتخصصة. ومن خلال الاطلاع على العديد من الدراسات التربوية والعلمية في هذا المجال، منذ سبعينيات القرن الماضي وحتى تاريخ إعداد هذا البحث، نعرض منها، على سبيل المثال لا الحصر، مجموعة من الدراسات وفق تسلسلها الزمني:

* **دراسة مرسي(1977)** حول التعليم الجامعي، قضاياه واتجاهاته، حيث أشار الى البحث العلمي كوظيفة أساسية من وظائف الجامعة المعاصرة، واستعرض الباحث أهم مشكلات البحث العلمي في جامعات العالم العربي ومنها: ضعف اهتمام الجامعات العربية بالبحث العلمي، وضعف المخصصات المالية المرصودة للبحث العلمي، وارتباط اهداف البحث العلمي لدى الباحثين بالترقية، وعدم ارتباطها بمشكلات المجتمع وقضاياه.

* قدمت مجموعة من الأبحاث وأوراق العمل لندوة عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية، المنعقدة بجامعة الملك سعود في الفترة ما بين27 شباط إلى 2 آذار من العام1983، منها دراسة

عدس(1983)، والتي أشارت إلى أن البحث العلمي في الجامعات العربية يعاني من مشاكل جمة تتلخص في:

* عدم إعطاء البحث العلمي الأهمية المطلوبة والأولية التي يستحقها.
* غياب التكامل بين البحوث في الجامعات العربية.
* **دراسة الكيلاني وعدس(1984)** وعنيت باستقصاء الظروف الملائمة لاستقرار عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية، وحددت أهداف الدراسة بالتالي:
* حصر المشكلات التي يعاني منها أعضاء هيئات التدريس في التعليم العالي في البلدان العربية.
* تحديد الاحتياجات المادية والمعنوية لاستقرار عضو هيئة التدريس لزيادة فعاليته العلمية.
* اقتراح الحلول المناسبة لاستقرار عضو هيئة التدريس وزيادة الفاعلية.

وتشير البيانات التي جمعت من خلال هذه الدراسة، أن الجامعات العربية ما زالت ناشئة في معظمها، وما زالت بحاجة إلى الكثير في سبيل تطوير سياستها وإمكانياتها، وأنظمتها ووسائلها، وكل هذا ينعكس على استقرار عضو هيئة التدريس فيها، وتبين أيضاً أن مسألة استقرار عضو هيئة التدريس لا تحظى بالاهتمام والاعتبار اللذين تستحقهما، وعليه، أوصت هذه الدراسة بمجموعة من التوصيات منها: تعبئة الجهود التي من شانها تطوير إمكانيات الجامعة المادية والإدارية، والتنظيمية لتجاب معها عوامل استقرار أساسية، حتى تقوم الجامعة بوظيفتها وتوفر لعضو هيئة التدريس الأجواء الإيجابية التي تحفزه على العمل المنتج في مجالي البحث العلمي والتدريس.

* **دراسة مرسي(1984)** بعنوان "مشكلات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات العربية، وأثارها على هجرة أصحاب الكفاءات النادرة". عرضت هذه الدراسة لأبرز المشكلات التي يواجهها عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية، والتي تؤدي إلى ضعف إنتاجيته، مقارنة مع زملائه العاملين في نفس الميدان في مجتمعات أخرى. وتراكم هذه المشكلات وتكاثرها، كما يرى الباحث، تؤدي بهذا الإنسان العالم الى أن يتخذ قراره بترك جامعته ومجتمعه واللجوء إلى مجتمع أخر، يختاره للعمل والإقامة. وقد حاول الباحث حصر المشكلات المتعلقة بالبحث العلمي كركيزة أساسية من عمل أستاذ الجامعة، ومن أبرز هذه المشكلات، عدم كفاية المجلات والدوريات العلمية، وعدم كفاية الأموال المخصصة للبحث العلمي، وعدم توفر فئة مساعدي البحث، وكذلك البيروقراطية والروتين الإداري، والغيرة المدمرة من جانب بعض زملاء العمل. ويشير الباحث إلى أن هذه المشكلات أو بعضها، كانت سبباً في هجرة عدد لا يستهان به من خيرة العناصر المتعلمة في الجامعات العربية

إلى الخارج، مما أدى إلى نقص ملحوظ في عدد أعضاء هيئة التدريس في بعض الجامعات العربية، كما أدى إلى ارتفاع نسبة الممتنعين من طلاب البعثات عن العودة إلى جامعتهم الأم والعمل فيها.

ويوصي الباحث بضرورة أن يضع المسؤولون عن التعليم الجامعي هذه الأمور تحت المجهر ليروا دقائقها، ويتوصلوا إلى حلول عملية لها في المستقبل القريب، لمنع استمرار تيار هجرة أصحاب الكفاءات من العالم العربي، وبالتالي انخفاض مستوى التعليم الجامعي، وغياب البحث العلمي.

* **وفي دراسة الجرباوي(1986)** حول الجامعات الفلسطينية بين الواقع والمتوقع، يرى بأن البحث العلمي لم يكن على قائمة أولويات هذه الجامعات حين انشائها، ولم يشكل هدفاً من الأهداف التي وجدت من اجلها يومئذ، ولم يكن بمقدورها أيضاً أن توليه اهتماماً، لغياب كل من: الدافع المجتمعي، والبنية التحتية المساندة، والمناخ الملائم. مع أن البحث العلمي، كما يرى الباحث، يعتبر من أنجع المقاييس المتعارف عليها لتحديد ومقارنة مكانة المؤسسات التربوية. ويرى الباحث أن الدعوات، التي جاءت لاحقا، للبحث العلمي في المؤسسات التربوية الفلسطينية تفتقر لوضوح الأهداف بشكل عام، وغاب عنها التنسيق بين الجامعات الفلسطينية، وافتقار هذه الجامعات لميزانيات حقيقية للبحث العلمي، مما جعل النشاط البحثي الفلسطيني هامشياً، وفسيفسائياً، وغلبت عليه الصبغة الذاتية. ويرى الباحث ضرورة توفير ما يتطلبه البحث العلمي من مستلزمات التخطيط المشترك لاقامة مركز ابحاث مركزي ومستقل و توجيه النشاط البحثي لما يدعم تنمية المجتمع.

* **واشار درة وبعيره(1986)** خلال ندوة تحديث الادارة الجامعية في العالم العربي المنعقدة في جامعة اليرموك ان واقع البحث العلمي في العالم العربي لا يشجع ولا يعطي على ما يبدو صورة مشرقة على الإطلاق، واشار الباحثان الى ضرورة الدعم المالي لبرامج البحث العلمي، وضرورة التخطيط السليم لهذه البرامج.

* **وحاولت دراسة عبد العزيز(1986)** التركيز على عرض المشكلات التربوية التي قد تحد من فعالـية عضـو هيئة التدريس في الجامعات العربية، وبالذات ما يخص مجالي: التدريس والبحث العلمـي، كمـا حاولـت هذه الدراسة تقديم اقتراحات وحلول علاجية لهذه المشكلات، ويعرض الباحث من خلال هذه الدراسة مجموعة من المشكلات الخاصة والعامة لمجالي التدريس والبحث العلمـي مـثل: العـبء التدريسي الذي يثقل عضو هيئة التدريس، وأعداد الطلبة في المساقات

التدريسية، وعدم توفر الدوريات العلمية، وضمان استمراريتها، وعزلة الباحث العربي عن غيره من الباحثين سواء في بلده أو في البلدان العربية الأخرى.

ويقترح الباحث مجموعة من الحلول منها، تخفيف العبء التدريسي لعضو هيئة التدريس، لكي يواءم بين التدريس والبحث العلمي، وضرورة إنشاء شبكة من المعلومات في مجال البحوث على غرار نظام (ERIC) الأمريكي، وكذلك بذل الجهد وتوفير الإمكانيات للمحافظة على استمرارية وصول الدوريات الخارجية، وإصدار الدوريات المحلية، والتأكيد على البحوث الجماعية، لما لها من ميزات عديدة بجانب البحوث الفردية.

* **ويناقش سلمان(1993)** في دراسته أزمة(مأزق) البحث العلمي في الوطن العربي، وعمق الأزمة التي يعيشها البحث العلمي العربي، من خلال العجز الواضح في مجال البحوث النظرية، وتتمثل هذه الأزمة، وكما يقول الباحث، في غياب استراتيجية(فلسفة) واضحة المعالم للبحث العلمي لدى الدول العربية، مما أفرز العديد من المشكلات: العجز في الميزانيات، والبحوث الفردية، وعجز المؤسسات العلمية العربية عن ان تلعب دوراً رائداً في نهضة الامة علمياً. ويرى الباحث أن الخروج من الأزمة يكمن في الاعتماد على الذات، وعناصر القوة في العالم العربي، للوصول الى تنمية حقيقية.

* **أمـا دراسـة شـعث(1997)**، وهي بعنوان " واقع تمويل التعليم العالي الجامعي ومستقبله من وجهة نظر القائمين على الجامعات الفلسطينية ومجلس التعليم العالي وأجهزة الدولة"، فقد حاولت توضـيح واقـع عملـية تمويـل التعليم الجامعي في فلسطين، والبدائل المستقبلية التي تواجهها الجامعات، والتعرف إلى وجهة نظر مجالس الأمناء، ورؤساء الجامعات، وأعضاء مجلس التعليم العالـي، ومسؤولي السلطة الفلسطينية حول قضايا تمويل التعليم الجامعي في فلسطين. وتوصلت الباحـثة إلى مجموعة من النتائج منها: الجامعات الفلسطينية تعاني أزمة تمويل حادة، من خلال اعتمادها على التمويل الخارجي، كما أن نفقات هذه الجامعات تتركز على الإنفاق الجاري، الأمر الـذي لا يترك مجالاً لتطوير نوعية التعليم، أو التركيز على البحث العلمي، كوظيفة أساسية من وظائف الجامعة.

وأوصت الدراسة بضرورة البحث عن مصادر تمويل بديلة للجامعات الفلسطينية للتغلب علـى الظـروف التي تمر بها، ولمساعدتها على تطوير نفسها والقيام بدورها على وجه أفضل، وبضرورة وجود تمويل حكومي جزئي للجامعات الفلسطينية، لتغطية العجز القائم، وتلافي العجز المستقبلي.

* **وحـاول البخيت وزملاؤه(1997)** دراسة اوضاع البحث العلمي في الجامعات الأردنية، وتبين لهـم ان اهـم المشكلات التي يعاني منها البحث العلمي في هذه الجامعات: التمويل وغياب خطة بحثية للجامعات الاردنية مجتمعة.

* **وجاءت دراسة عبد الدايم(1998)** بعنوان "التعليم العالي وتحديات اليوم والغد"، لتلخص وضع التعليم العالي، وتطلعاته إلى غد أفضل، حيث تعرض الباحث في دراسته هذه إلى أعمال المؤتمر العالمي للتعليم العالي في القرن الحادي والعشرين، الذي نظمته اليونسكو في باريس، في الفترة ما بين (5-9) اكتوبر، 1998.

وأشـار الباحث في هذه الدراسة إلى ضرورة أن يخرج التعليم العالي من عزلته وبرجه العاجي، وضـرورة أن يصغي إلى صوت المجتمع ومطالبه وقضاياه، وإلى أن يحاور التحديات العالمية، وتناقضـاتها عـن طريق الجهد الفكري المبدع، وقد حاول الباحث إجمال ما ورد من اقتراحات وتوصيات في هذه المؤتمر، وجاءت كالتالي:

1. إن أزمـة التعلـيم العالـي في العالم بشكل عام، وفي الدول النامية بشكل خاص، هي أزمة تصدر عن طبيعة التحديات العالمية التي يدعى التعليم العالي إلى الاستجابة لمطالبها.
2. مـن أجل تطوير التعليم العالي في خضم التحولات العالمية، وعلى نحو ما طرحه المؤتمر، لا بد من:

أ. تحقيق الملائمة والتلاقي بين ما تقدمه مؤسسات التعليم العالي، وما يتوقعه المجتمع منها.

ب. ضمان الجودة والنوعية في مدخلات نظام التعليم العالي ومخرجاته وعملياته.

ج. تطوير التمويل والتسيير، ويشمل ذلك تجويد الإدارة، وتنويع مصادر التمويل، وحسن استثمار الموارد، ومشاركة المؤسسات الفاعلة.

د. العمل المشترك سواء على نطاق الدولة أو الأقاليم، أو العالم كله، لتذليل العقبات التي تواجه التعليم العالي حاضراً ومستقبلاً وتحول دون تحقيق أغراضه.

* **وسعت دراسة المجيدل(1999)** التعرف الى المشكلات الأكاديمية التي يواجهها أعضاء هيئة التدريس في جامعة دمشق، وأثر بعض المتغيرات على هذه المشكلات. وتم تصنيف المشكلات وفق هذه الدراسة إلى عدة مجالات، منها المشكلات المتعلقة بالبحث العلمي.

وأظهرت نتائج الدراسة أن مشكلة عدم توفر المعلومات اللازمة لأعضاء هيئة التدريس لإجراء بحوثهم العلمية، قد احتلت المركز الثالث في ترتيب المشكلات من حيث مدى إلحاحها. وأوصت الدراسة بضرورة رفع مستوى عضو هيئة التدريس ودعم نشاطات البحث العلمي بجميع الوسائل

الممكنة، وضرورة استجابة الجامعات لحاجات المجتمع من خلال البحوث الموجهة لحل مشكلاته.

* **أما دراسة الصفدي والقريي(2000)** حول دور الجامعة في خدمة المجتمع المحلي، فقد طالب الباحثان بأن لا يقتصر دور الجامعات على التدريس، بل لا بد أن يتخطى ذلك الى الاهتمام بالأبحاث العلمية، الاصيلة والتطبيقية، من خلال توفير المناخ المناسب لإجراء الابحاث العلمية، وتوفير المستلزمات الضرورية لذلك من: ميزانيات، وأجهزة، دوريات ومراجع، تخفيض أعباء هيئة التدريس، وتقديم الحوافز المناسبة للمبدعين في مجال البحث العلمي.

* **أما غانم(2000)** فقد حاول في دراسته استعراض بعض الحقائق والأرقام المتعلقة بالبحث العلمي في الوطن العربي مقارنة مع دول متقدمة، والتعرف إلى أي مدى تقدم الدول العربية من ميزانياتها للبحث العلمي، وإلى أي مدى يقوم الباحثون العرب بدورهم في مجال البحث العلمي المرتبط بالتنمية الصناعية العربية.

ومن أبرز ما عرض له الباحث في هذه الدراسة من أرقام:

أ. معدل الإنفاق على البحوث والتطوير في الدول العربية في العام لكل فرد من السكان يصل إلى (4) دولارات، بينما يصل في اليابان إلى (190) دولاراً، وإلى (230) دولاراً في ألمانيا.

ب. قدرت إنتاجية الباحث الواحد في الدول المتقدمة عام (1985) بـ (2.5) بحثا للباحث سنويا، في حين كانت إنتاجية الباحث العربي خلال الفترة نفسها في حدود (0.2) بحثا للباحث سنويا.

ج. نسبة الإنفاق على البحث العلمي والتطوير إلى الناتج المحلي في الدول العربية ما زالت ضعيفة (0.21%)، ففي مصر مثلاً (0.45%)، السعودية (0.1%). في حين تصل هذه النسبة في بعض الدول المتطورة إلى (3%).

أما عن الصعوبات التي تواجه البلدان العربية في مجال البحث العلمي، فيرى الباحث أن من أهمها: ضعف الدعم المخصص لأنشطة البحث العلمي، وضعف الدراسات العليا في الجامعات العربية، وعدم وجود سياسة علمية واضحة في الدول العربية.

ويؤكد الباحث أن التنمية الصناعية العربية لا يمكن أن تتحقق بدون تأمين مستلزمات البحث العلمي وفي طليعتها التكنولوجيا الملائمة، وأن حل أزمة البحث العلمي يرتبط بشكل مباشر

وحاسم بأزمة المجتمع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وما لم يتم حل أزمة المجتمع، فإن حل أزمة البحث العلمي في الدول العربية تصبح من المستحيلات وليس من الصعوبات فحسب.

* **وأشار كنعان(2002)** في دراسته إلى أن البحث العلمي في الوطن العربي يعاني من القصور، وهناك هوة تفصل بين الباحث والقرار، وأورد الباحث بيانات رقمية تؤكد على أن الوطن العربي يزخر بالكفاءات العلمية والامكانيات المادية، في حين أن الانفاق على البحث العلمي هو إنفاق غير منتج(دون جدوى)، نظراً لضآلته وعدم توجيهه الوجهة الصحيحة.

* **أما دراسة أبوسمرة وزميليه(2003)**، حول مشكلات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الفلسطينية، فقد أشارت الى أن أعضاء هيئة التدريس يقدرون مشكلات البحث العلمي في الجامعات الفلسطينية بدرجة حادة(عالية)، ومن أهم المشكلات التي أشار اليها أفراد عينة الدراسة: قلة الوقت المخصص للبحث العلمي، ونقص مصادر المعرفة، وقلة الموارد المخصصة للبحث العلمي.

* **أما دراسة القصبي(2005)** فقد أشارت الى مشكلات استثمار وتسويق البحث العلمي في الجامعات العربية، ومنها:

- النقص في ميزانيات البحث العلمي.
- انفصال البحث العلمي عن المجال التطبيقي ومشكلات المجتمع.
- غياب التخطيط داخل الجامعات لمجالات البحث العلمي المرغوب.
- عشوائية الابحاث وفردية الأداء.

ويرى الباحث أن نتائج البحوث العلمية في الجامعات العربية يندر أن تصل الى أبعد من الدائرة، أو قل عمادة البحث العلمي في الجامعة.

* **وفي دراسة اجراها المركز الفلسطيني لحقوق الانسان(2005)** حول واقع التعليم العالي في فلسطين وسبل تطويره، حيث اشارت الدراسة الى الملامح السلبية للتعليم العالي في فلسطين، وفي مجال البحث العلمي بالذات، ومن أهم هذه الملامح:

- عدم الاهتمام بالبحث العلمي التطبيقي.
- عدم السعي لاستقطاب باحثين متميزين.
- عدم ربط برامج البحث العلمي والدراسات العليا بمشكلات البيئة والمجتمع.
- غياب الدعم الحقيقي للبحث العلمي، سواء من الجامعات أو من القطاع الخاص.

مشكلات البحث العلمي في العالم العربي

وفي ضوء ما جاء في هذه الدراسات وغيرها، حول مشكلات البحث العلمي في العالم العربي، يمكن إجمال ما تمت الإشارة اليه، كمعوقات أو مشكلات للبحث العلمي في الأمور الرئيسية الآتية:

* الميزانيات المخصصة للبحث العلمي، لتمويل شراء الأجهزة العلمية، والدوريات العلمية والمراجع، ونفقات مساعدي البحث والتدريس، والسفر والإقامة لحضور المؤتمرات وغيرها.
* الأعباء التدريسية لأعضاء هيئة التدريس، والتي لا تسمح في أغلب الأحيان للتفرغ،أو إعطاء الوقت الكافي للبحث العلمي.
* عدم توافر المناخ الجامعي السليم للقيام بالبحث العلمي.
* عـدم وجـود سياسات واضحة في العديد من الدول حول مفهوم وأهداف البحث العلمي الذي تريده هذه الدول.
* هجرة العقول الفاعلة في مجالات البحث العلمي الى دول غربية أو شرقية.
* غياب ارتباط البحث العلمي بمشكلات المجتمع وقضاياه.

الإجابة عن سؤال الدراسة الأول:

ما حقيقة المشكلات التي تواجه البحث العلمي في العالم العربي؟ (كما يشخصها الباحثان)

مـن خـلال نظـرة فاحصة لمعوقات البحث العلمي ومشكلاته، الواردة في الدراسات السـابقة، ودراسات أخرى مشابهة، والتي بدأت مع بدايات الجامعات العربية، يظهر وكأن السبب الرئـيس لهذه المعوقات هو الإمكانيات المادية، والتي بوجودها يمكن رصد الميزانيات المطلوبة (للأجهزة والدوريات، والمراجع، والمختبرات....)، وتخفيف الأعباء التدريسية، أو تفرغ أعضاء هيـئة تدريـس للبحث العلمي، وتوفير الأجواء العلمية الملائمة للقيام بأبحاث علمية. عندها تحل مشـكلات البحـث العلمـي جمـيعها، ونصـبح دولاً مـن الطراز الأول في المجالين العلمي والتكنولوجي، مثل ألمانيا أو اليابان أو حتى أمريكا.

الا أن المتمعـن فـي الأمور قد لا يرى أن هذه المعادلة سليمة دائماً، والواقع يثبت ما نقول، فللبحث العلمي ركنان أساسيان:

1. **سياسة راعية،** وموجهة ومرشدة، وداعمة للبحث العلمي في خدمة المجتمع وقضاياه وأهدافه، وأن لا تكـون عائقاً ومثبطاً لجهود الباحثين، أو موجهة لهم الوجهة التي لا تنهض المجتمع، ولا ترفع من مكانته العلمية.

2. **باحث عالم**.

أما بخصوص الركن الأول، ودوره كداعم للبحث العلمي أو معوق له: فقد تتوفر الإمكانيات المادية، وقد يرغب العلماء بالعودة إلى أوطانهم ليخدموها بعلمهم، وقد تتواجد منهم أعداد قادرة على القيام بمهمات البحث العلمي في جامعات عالمنا العربي، ولكن السياسة الموجهة للبحث العلمي تجعل من وجوده أمراً متعذراً، أو موجهاً لأبحاث هزيلة لا تخدم المجتمع، أبحاثاً فسيفسائية ترقيعية، لا تحقق أهدافه، والأمثلة على ذلك كثيرة في العالم العربي، فدول لا ينقصها المال، ودول لا ينقصها العلماء، ودول لا ينقصها هذا ولا ذاك، ودول فيها من الجامعات ومراكز البحث العلمي الكثير، ومع ذلك فحالنا لا يتقدم، كما لم تحل أي من مشاكلنا العالقة منذ عشرات السنين، بل منذ قرن من الزمان، فمشكلات (العالم الثالث) تتكدس وتتضاعف، رغم وجود مئات الآلاف من حملة الشهادات العلمية العليا والمتخصصة، ورغم وجود مئات الآلاف من الأبحاث، ورسائل الماجستير والدكتوراه، في مختلف المجالات، ولكن النتيجة المرة نراها بأم أعيننا، متمثلة في فجوة عميقة بيننا وبين العالم التكنولوجي، يصعب تجاوزها في ظل السياسات القائمة في مجال البحث العلمي، ونراها تكبر يوماً بعد يوم، ونقف أمامها حائرين مرة، وغير مبالين مرات أخرى.

وهذا يعني أن المشكلة لا تكمن في فقر الدول العربية، ولا في ميزانيات الجامعات العربية، ولا في ضعف الميزانيات المرصودة للبحث العلمي، بل تكمن، بالدرجة الأولى، في غياب السياسات الموجهة للبحث العلمي الوجهة الصحيحة، سواء على مستوى الدول، أم على مستوى الجامعات. وهذا ما نعتبره أس البلاء، والأساس الذي يمكن أن تنبثق منه جميع المشكلات المتعلقة بالبحث العلمي في عالمنا العربي.

أما الركن الثاني، ودوره كمعوق للبحث العلمي: فيكمن في الفهم المغلوط الذي حمله الكثير من الباحثين من أبناء جلدتنا، بتبنيهم فكرة (**علمانية العلوم**)(أبو سمرة وزميليه، 33:2005)، والتي تقوم على فهم ترسخ في أذهان الغالبية العظمى منهم، مفاده بأن علوم الدنيا لا علاقة لها بالدين، وعلماء الدين هم من يثاب ويعاقب على علمهم وعملهم في مجال البحث العلمي، فصار المتخصصون في العلوم الطبيعية، لا يهمهم كثيراً إن هم قصروا في البحث العلمي، لاعتقادهم بأن علمهم دنيوي، ولا علاقة للدين بأمرهم هذا، فلا دافع لديهم إلا بمقدار ما يحقق لهم البحث العلمي من منافع الدنيا، فانخفضت إنتاجيتهم البحثية، من حيث الكم والنوع، لا بل قد تكون معدومة ولم يدركوا بأنهم،حينها، مقصرون بحق دينهم وأمتهم. وليس حال المتخصصين في العلوم الشرعية بأحسن من ذلك، فقد وظّفوا بحثهم العلمي، إلا من رحم ا ، لمنافع الدنيا كذلك، فجاءت أبحاثهم للترقية والشهرة، والربح المادي**،** فغابت عنها الأصالة والإبداع**،** ومعالجة

مشكلات المجتمع، فلم نعد نرى الاجتهاد الخالص لوجه الله تعالى، ولا التفسير الذي يكشف مكنون القرآن الكريم، ولم نعد نرى مؤلفات الشافعي، ولا تفسير القرطبي، ولا تاريخ الطبري، بل هي كتيبات في مواضيع متفرقة، قد لا يجمعها جامع، إضافة إلى ذلك ما تبناه الطرفان من الفصل التام بين الصنفين من العلوم، وقناعتهما بأنه لا ضرورة للالتقاء والتعاون، ولا يزال هناك من يرى استحالة ذلك، لكون الأمران مختلفين. وغاب عنهما أن الكثير من علماء السلف الصالح جمع بين هذه وتلك، بل وأبدع في المجالين.

إن هذا الفهم المغلوط ولّد معوقاً حقيقياً للبحث العلمي لدى الباحثين العرب والمسلمين، ونسي هؤلاء أن البحث العلمي، في جميع المجالات العلمية، هو خدمة لشعوبهم وللإنسانية جمعاء، يثابون عليه إن هم أخلصوا النية لله، وقصدوا من عملهم هذا رفعة أمتهم وإعلاء شأنها بين الأمم.

فالإسلام، ومن خلال آيات قرآنية كريمة، وأحاديث نبوية شريفة، دعا الى شرف العلم، العلم الذي يخدم الانسانية ولا يدمرها، العلم الذي نتوصل به الى سنن الكون، ونتعرف به على بديع صنع الله. كما شرف الاسلام العلماء، ورفعهم الى مكانة عالية، وجعلهم يوم القيامة مع المقربين في جنات النعيم، إن هم أخلصوا النية لله، وأحسنوا العمل، فجاء عملهم هذا وفق أوامر الله ونواهيه. قال تعالى: (**قُلْ هلْ يستَوي الذِين يعلمون والذِين لا يعلمون إنما يتَذكر أُولُو الأَلْباب**)(الزمر: من الآية9)، وقال تعالى: (**يرفَع الله الذِين آمنُوا منْكُم والذِين أُوتُوا الْعلْم درجات**)(المجادلة: من الآية11).وقال تعالى: (**إنما يخْشَى الله من عبادِه الْعلَماء**)(فاطر: من الآية 28). وقال عليه الصلاة والسلام:"**إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فان استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل** "(أحمد، مسند المكثرين، حديث رقم 12512). وقال عليه الصلاة والسلام:" **طلب العلم فريضة على كل مسلم**"(ابن ماجه، سنن ابن ماجه، المقدمة، حديث رقم 220).

فالمشكلة هنا تكمن في الباحث نفسه، ورغبته في البحث العلمي ودافعيته له، ومدى قناعته بأن ما يقوم به من بحث علمي هو خدمة لشعبه وأمته، وعدم قيامه بالواجب الملقى على عاتقه في هذا المجال هو تقصير بحق أمته ودينه، وسوف يسأل عنه يوم القيامة، فعلمه وعمره أمانة في عنقه، لا يجوز أن يضيعهما، أو يفرط فيهما، أو يبيعهما للدنيا وينسى الآخرة.

وهذا يدفعنا لأن نسأل عن معوقات البحث العلمي ومشكلاته المتعلقة بالأبحاث التربوية، والعلوم الشرعية، والتاريخ، واللغة العربية، أو قل العلوم الإنسانية جميعها، وما شابهها، فلماذا الإنتاجية البحثية في هذه المجالات لدى الباحثين في الجامعات العربية ضئيلة وهزيلة؟ هل هي

الإمكانيات المادية فعلاً؟ ماذا يلزم المجتهد حتى يجتهد ويبحث؟ ماذا يلزم الفقيه حتى يبحث عن الأحكام الشرعية من الأدلة الشرعية؟ ماذا يلزم عالم اللغة؟ ماذا يلزم الباحث التربوي؟

نحن لا نقول بأنه لا يلزمهم شيء، وأن بإمكانهم القيام بالبحث العلمي من فراغ، أو في فراغ، لا نقول ذلك، ولكن نقول بأن الإمكانيات المطلوبة لهذا النوع المهم من الأبحاث ليست من الصعوبة بمكان، كتلك التي تلزم الباحث في مجالات الطب، والفيزياء النووية، وهندسة الجينات مثلاً. فهؤلاء يلزمهم من الأجهزة المخبرية ما قد تعجز عن شرائه بعض الجامعات في بعض الدول العربية. ومع هذا لا نرى إبداعاً عربياً في البحث العلمي التربوي، أو تميزاً في إنتاجيتهم البحثية في مجال اللغة، أو الفقه، أو التاريخ، أو غيرها.

وبمقدار ما تكون السياسة الموجهة للبحث العلمي مسئولة عن الضياع الذي يعيشه البحث العلمي في عالمنا العربي، والتخلف العلمي والتكنولوجي الذي نعاني منه مقارنة بالشعوب والأمم الأخرى، بمقدار هذا كله يكون الباحث العربي مسئولا عن التقصير المتعمد في البحث العلمي، واللامبالاة التي يعيشها (الباحث) العربي تجاه المجال البحثي، واكتفائه بالتدريس الصفي(الجامعي) طيلة حياته العملية.

قد يقول قائل ما فائدة أن نقوم بالبحث العلمي ونحن ندرك بأنه لا مجال لتوظيفه في خدمة الشعوب العربية والإسلامية، فالسياسات الموجهة للبحث العلمي في عالمنا لن تقبل له الا أن يكون هزيلاً، وإذا كان بحثاً نافعاً ومفيداً فالمستفيد الأول والأخير هي الدول الصناعية؟

وللإجابة عن هذا التساؤل نقول بأن هناك العديد من المجالات البحثية نستفيد منها نحن، دون غيرنا، بالدرجة الأولى، كأبحاث العلوم الشرعية(تفسير، فقه، أصول فقه، حديث، سيرة، عقائد)، وأبحاث اللغة، والأبحاث التربوية، والتاريخ، وأبحاث أخرى قد تكون ذات علاقة ببيئة محلية خاصة، كالزراعة المحلية، والمياه، والآثار، والبيئة وغيرها. وأبحاث أخرى تلزم المسلمين بالدرجة الأولى أيضاً، كأبحاث علم الفلك، لارتباط العديد من مفاهيم هذا العلم بعباداتهم وشعائرهم الدينية. فكيف نقصر فيها وحاجتنا لها واضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار؟

أما الأبحاث في مجالات العلوم الطبيعية، كالفيزياء، والكيمياء، والتي لا يمكن أن توظف في حياتنا، لصعوبة بناء تكنولوجيا متطورة تقوم على نتائج هذه الأبحاث، في جامعاتنا العربية، فهذا لا يمنع أن يكون لعلمائنا بصمة ناصعة في صفحات التاريخ، ودوراً مشرقاً ومشرقاً في بناء الحضارة العالمية، كما كان، فقد افتخرت الأمة الإسلامية بنجاحات عبد السلام (الباكستاني) في مجال الفيزياء، وأحمد زويل (المصري) في مجال الكيمياء، مع أن إنجازاتهم العلمية تمت خارج

أوطانهم، بعد أن احتضنتهم الدول التي تقدر العلم والعلماء في هذا العصر. أفلا يكون مبعث فخر لكل غيور إذا كان عدد هؤلاء العلماء بالمئات أو الألوف ؟

وبهذا نرى بأن مشكلات البحث العلمي ومعوقاته تنحصر في هذين الركنين(السياسة الموجهة والباحث نفسه)، وما تمت الإشارة إليه من مشكلات ومعوقات في الدراسات السابقة والأدب التربوي، ما هي إلا مسائل ثانوية، وقضايا فرعية، لا ترقى لأن تكون معوقات حقيقية للبحث العلمي في جامعاتنا العربية، وما تلبث أن تختفي جميعها إذا ما اختفت المعوقات التي أشرنا إليها سابقاً، والمتعلقة بركني البحث العلمي الأساسيين.

الإجابة عن سؤال الدراسة الثاني: ما الحلول المقترحة لمشكلات البحث العلمي في العالم العربي؟

(يقدم الباحثان الإجابة عن هذا السؤال كمقترح للنهوض بالبحث العلمي في العالم العربي وفق رؤية إسلامية).

لا يختلف عاقلان حول واقع الأمة العربية، بأنه لا ينقصها المال لتكون عالة على الآخرين في مجال العلم والتكنولوجيا، ولا تنقصها الموارد الطبيعية، ولا المساحة الجغرافية، ولا العقول المفكرة الناهضة، التي أبدعت حين سمح لها أن تبدع. وفي ظل الواقع الذي يعيشه البحث العلمي العربي ، والذي انعكس سلباً على حياة الشعوب العربية، ومكانتها بين الأمم، وبناء على واقع المشكلات التي يعاني منها البحث العلمي في العالم العربي، وكما نراها، نطرح مشروعنا المتواضع هذا للنهوض بالبحث العلمي في العالم العربي، وفق رؤية إسلامية:

* إعادة الثقة في نفوس باحثينا، بأنهم كانوا قادة في مجال العلم، كما كانوا سادة في مجال السياسة، وأن هذا ليس وهماً ولا أفيوناً، بل هي حقيقة ساطعة لا ينكرها من أبناء هذه الأمة الا عاق أو مضِل.
* أن يعلم باحثونا بأنهم مطالبين بالبحث العلمي، في جميع مجالاته، لا فرق بين البحث التربوي، والبحث التاريخي، والتفسير، والفقه، والبحث في مجال العلوم الطبيعية، وأن علمانية العلوم التي أخذ بها غالبية الباحثين والعلماء أضرت بالبحث العلمي العربي، وبالأمتين العربية والإسلامية.
* تحريك دافعية البحث العلمي، كما كانت لدى أسلافهم، وكما هي الآن لدى شعوب وأمم ليسوا بأفضل من أبناء الأمة بشيء، بل إن مقومات البحث العلمي وغاياته وأهدافه لدينا هي أعظم مما لدى غيرنا، وأن يفهم علماؤنا وباحثونا أن البحث العلمي في حقهم فريضة، لا تقل أهميتها

عـن فـرائض أخرى يحرصون عليها صباح مساء، وأن يتمثلوا اوامر ا ونواهيه، وحثه لهم بأن يكونوا خير أمة، وأنهم سيحاسبون إن هم قصروا في ذلك.

* أن يولـد في الجامعات العربية قرار سياسي رشيد، يقوم على تبني القناعة الأكيدة بأن البحث العلمي هو جزء من حياتها وكيانها ، وهو جزء من أمن الشعوب وسيادتها، وأنها بدونه ستبقى دولاً "نامـية"، أو قـل "مـتخلفة" في المجال العلمي والتكنولوجي، والأمل معقود على الواعين والحريصين من المثقفين لأن يجعلوا من هذا الأمر أولوية من أولوياتهم.
* أن ترتبط مشاريع الأبحاث العلمية بأهداف المجتمع وقضاياه ومشكلاته(المجال التطبيقي)، وأن لا تكـون أبحاثاً ترقيعية فسيفسائية متناثرة لا يربطها رابط، ولا يجمعها جامع، فالبحث العلمي الحقيقـي هـو ما كان معالجاً لقضايا المجتمع الجوهرية والأساسية، التي لا يصح أن تصرف عنها الأذهان، كما ولا يصح أن لا تصرف الأموال في مشاريع أبحاث لا تمت إلى واقع وحياة المجتمعات بشيء.
* أن تعمل الأمة جاهدة لتتبنى سياسة التعريب والترجمة، التعريب في كل شيء، فاللغة العربية، لغة القرآن الكريم، قادرة على حمل العلم ومصطلحاته كما حملت دين ا وانتشرت معه في كل مكان، فاللغة هي جزء من كيان الأمة، أية أمة، وسيادتها، والأمة التي تتنازل عن لغتها، تتنازل عـن جزء من كيانها. فأبناء الأمة العربية بإمكانهم أن يفهموا العلم ويتعاملوا معه ويبدعوا فيه بلغتهم الخاصة، وليس بلغة أخرى مهما علا شأنها بين الامم وانتشرت فيها.
* أن يرصـد للبحـث العلمي الأموال اللازمة دونما قيد، لأن في ذلك تشجيعاً على عودة العقول المهاجـرة إلـى أوطانها، وإعمال للعقول المستنيرة الراغبة في خدمة أمتها ودينها، وأن يتذكر الحكـام والمسـؤولون ما قام به الخلفاء الأوائل، كالمأمون والرشيد وغيرهم من دعم متواصل للحركة العلمية التي ازدهرت جراء رعايتهم لها أيما ازدهار.

نـأمل أن يجد هذا المقترح آذاناً صاغية من أصحاب القرار والمسؤلين في جامعاتنا، وكذلك باحثينا، ليقوموا بواجبهم البحثي خير قيام، ويخدموا بذلك أنفسهم وأمتهم ودينهم، فينجحوا ويفلحوا، وينالوا رضا ربهم، ويفوزوا بالدارين بإذن ا .

خاتمة

إن ملاحظـة القـوة التكنولوجية التي تتمتع بها الدول الصناعية اليوم، ومدى تأثير هذه القـوة في حياة الأمم والشعوب، في جميع المجالات، لتأكد أهمية البحث العلمي وضروريته لهذه القوة، كما أن ملاحظة مدى إسهام الجامعات في هذه الدول، لا بل قيادتها للبحث العلمي، ونقصد

الباحثيـن فـيها، لـتأكد الدور الرائد دائماً للجامعة المنتجة والمنتمية لمشكلات مجتمعها، كما أن ملاحظـة رعايـة حكومات هذه الدول للبحث العلمي، لتأكد حرصهم الشديد على أن تكون دولهم دائماً في المقدمة، هذا ما نتمناه لجامعاتنا العربية، وهذا ما أردنا قوله من خلال دراستنا هذه.

المراجع

1 ـ ابن حنبل، أحمد، (ت 241 هـ)، مسند الأمام أحمد، القاهرة: دار المعارف.

2 ـ ابن ماجه(القزويني)، أبو عبد ا محمد بن يزيد، (ت 275هـ)، سنن ابن ماجة، القاهرة: دار إحياء الكتب.

3 ـ أبوسـمرة، محمـود أحمـد، والبرغوثي، عماد أحمد، وصالح، عبد الكريم(2005)،الإسلام والعلم، دعوة تحريضية للجهاد العلمي، القدس: مكتبة دار الفكر.

4 ـ أبوسـمرة، محمـود أحمد، وقرنبع، قمر الدين، وجبر،أحمد فهيم،(2004)، المشكلات التي يواجهها أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الفلسطينية، مجلة اتحاد الجامعات، عدد 42.

5 ـ البخيـت، محمـد عدنان، والناظر،موسى، وخصاونة، سامي، والعبادي، عبدا ، وحجازي، منـيف، والـزغول، حامد، وعصفور، محمد، وعريقات، سليمان، والترك، وليد،(1997)، أوضاع البحث العلمي في مؤسسات التعليم الأردنية، دائرة المكتبة الوطنية، جامعة آل البيت.

6 ـ التل، سعيد،(1997)، قواعد التدريس الجامعي، عمان: دار الفكر.

7 ـ الجـرباوي، علـي،(1986)، الجامعـات الفلسـطينية بين الواقع والمتوقع، القدس: جمعية الدراسات العربية.

8 ـ الـريس، محمد نضال، (1992)، وجهة نظر حول دور البحث العلمي الجامعي في التنمية، مجلة التعريب، عدد. 3.

9 ـ الشامسي، ميثاء سالم،(2005)، حصاد مراكز البحث العلمي في الدول العربية، ماذا انفقت؟ وماذا قدمت؟ وهل هناك انجاز علمي يمكن التحدث عنه؟ ندوة العربي للثقافة العلمية واستشراق المستقبل العربي .
www.alarabimag.com/common/book3/mostkb1013.htm

10 ـ الصفدي، موسى محمد، والقربي، ابوبكر عبدا ،(2000)، دور الجامعة في خدمة المجتمع المحلي، مجلة اتحاد الجامعات العربية، عدد2.

11 ـ الفاروقي، اسماعيل (1984)، أسلمة المعرفة، المبادىء العامة وخطة العمل، ترجمة زهية عبد الوارث سعيد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الكويت: دار البحوث العلمية.

12ـ القصـبي، راشـد،(2003)،اسـتثمار وتسويق البحث العلمي في الجامعة، مستقبل التربية العربية، مجلد9، عدد28.

13ـ الكيلانـي، عبد ا زيد، وعدس، عبد الرحمن،(1984)، الظروف الملائمة لاستقرار عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية، دمشق: المركز العربي لبحوث التعليم العالي،

14 ـ المجـيدل، عـبد ا ،(1993) المشـكلات الأكاديمية لأعضاء الهيئة التدريسية في جامعة دمشق، مجلة 15، عدد 3.

15 ـ المركـز الفلسـطيني لحقـوق الإنسان،(2003)، التعليم العالي في فلسطين، الواقع وسبل تطويره، سلسلة الدراسات(38)، غزة.

16 ـ جابـر، عبد الحميد، جابر، وكاظم، احمد خيري، (1996)، مفاهيم البحث في التربية وعلم النفس، القاهرة: دار النهضة العربية.

17 ـ درة، عبد الباري، وبعيرة، بكر،(1989)، تحديث الإدارة الجامعية، ورقة قدمت إلى ندوة تحديـث الإدارة الجامعية في العالم العربي والتي عقدت بالتعاون من اتحادالجامعات العربية وجامعة اليرموك في الفترة (18-20) آذار 1989.

18 ـ رشـوان، حسـين عـبد الحميد أحمد،(1985)، العلم والبحث العلمي، الاسكندرية:المكتب الجامعي الحديث.

19 ـ زيتون، عايش،(1995)، أساليب التدريس الجامعي، عمان: دار الشروق.

20 ـ سلمان، رشيد سلمان، (1993)، أزمة البحث العلمي في الوطن العربي، مجلة شؤون عربية، عدد 75.

21 ـ شعث، منى سعد ا أحمد،(1997) واقع تمويل التعليم الجامعي و الدولة، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية، جامعة النجاح الوطنية، 1997.

22 ـ عبد الحميد، محمد،(2000)، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، بيروت: عالم الكتب.

23 ـ عبد الدايم، عبد ا ،(1998)، التعليم العالي وتحديات اليوم والغد، ورقة قدمت مع انتهاء المؤتمـر العالمي للتعليم العالي في القرن الحادي والعشرين والذي نظمته اليونسكو في باريس في الفترة (5-9) تشرين أول، 1998.

24_ عـبد العال، صفا محمود،(2003)، التعليم العالي والتكنولوجي في اسرائيل، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

25 ـ عـبد العزيـز، محمـد عبد العزيز(1986) مشكلات عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية، مجلة التربية، عدد 80.

26 ـ عبيدات، ذوقان، وعدس، عبد الرحمن، وعبد الحق، كايد، (1996)، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

27 ـ عدس، عبد الرحمن،(1983)، إعداد عضو هيئة التدريس الجامعي، ورقة مقدمة إلى ندوة عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية والتي عقدت بجامعة الملك سعود، الرياض، في الفترة (2/27- 3/2).

28 ـ عناية، غازي حسين،(1990)، مناهج البحث العلمي في الإسلام، بيروت: دارالجبل.

29 ـ غانم، محمد، (2000)، تكامل البحث العلمي في الجامعات العربية وأثره على التنيمة الصناعية العربية، مجلة اتحاد الجامعات العربية، عدد 37.

30 ـ كابلر، آرنو،(1996)، حقائق عن ألمانيا، ترجمة سامي شمعون، ومحمد كيبيو، فرانكفورت: سوييتس فرلانج.

31 ـ كـنعان، أحمد علي،(2002)، رؤية نظرية، دراسة ميدانية حول العولمة والبحث العلمي، مجلة المعلم/ الطالب، عدد1.

32ـ مرسـي، محمـد منـير،(1977)، التعليم الجامعي المعاصر، قضاياه واتجاهاته، القاهرة : النهضة العربية.

33 ـ مرسي، محمد عبد العليم،(1984)، مشكلات عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية وآثارها على هجرة أصحاب الكفاءات النادرة، المجلة العربية لبحوث التعليم العالي، عدد1.

34 ـ ميليت، فرد،(1965)، أستاذ الجامعة، ترجمة جابر عبد الحميد ومحمد حسان، القاهرة: دار الفكر العربي.